مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 07 (03) ديسمبر 2023 ص ص 575-598

اكتشافات جديدة لمعاصر زيتون رومانية بمنطقة ستيفيس

New discoveries of Roman olive presses in Sitifis

عبد الحق، عيد*
جامعة محمد لمين دباغين ـــــ سطيف 02 (الجزائر) .
البريد الالكتروني المهني: a.aid@univ-setif2. dz

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023/06/06	2023/10/15	2023/12/01

الملخص: إن قيمة الزيت وشجرة الزيتون كانت لها أهمية بارزة في الاقتصاد القديم، وقد حكمنا على هذا بالعدد الكبير لمعاصر الزيتون المنتشرة في المناطق التي كانت تزرع فيها أشجار الزيتون.

وقد حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية التطرق إلى معاصر الزيتون المكتشفة حديثا بمنطقة سطيف ومحاولة وصفها وصفا أثريا ومعماريا، هذا ما جرنا إلى طرح العديد من التساؤلات هي: ما هي العناصر المعمارية المشكلة لهذه المعاصر؟ ما السر في كثرة هذه المعاصر في المنطقة وما الوظيفة التي كانت تؤديها، هل كانت من أجل الاستهلاك المحلي فقط، أم أنها كانت تؤدي وظيفة تجارية؟ هل توقف عمل تلك المعاصر مع هجران ملاكها الأصليين لها، أم أنها بقيت تعمل وتنتج بعدهم؟

هدفنا من هذه الدراسة هو محاولة لفت الانتباه أولا لمثل هذه الكنوز الأثرية، و ومعرفة هذه الضياع ومدى انتشارها والنشاطات المقامة فيها خاصة نشاط الزيتنة بمنطقة سطيف خلال الفترة القديمة.

الكلمات المفتاحية: *اكتشافات جديدة، معاصر زيتون، ضيعات رومانية، ستيفيس، عناصر معمارية .*

Abstract: The value of oil and the olive tree had a prominent importance in the ancient economy, and we have judged this by the large number of olive presses spread in the areas where olive trees were grown.

Through this paper, we have tried to address the newly discovered olive presses in the Setif region; this is what led us to ask many questions: What are the architectural elements that make up these moderns? What is the secret of the abundance of these presses in the region and what function did they perform, was it for local consumption only, or did it perform a commercial function? Did the work of these presses stop with the

* **المؤلف المرسل**

abandonment of their original owners, or did they continue to work and produce after them?

Our aim of this study is to try to draw attention first to such archaeological treasures, and to know these losses and the extent of their spread and the activities held in them, especially the activity of Al-Zaytna in the Setif region during the ancient period.

Keywords: *New discoveries, olive presses, Roman villages, Stevies, architectural elements*

مقدمة:

لم يكن الزيتون وزيته مجرد مكون مهم في النظام الغذائي القديم لبلدان البحر المتوسط بل واحداً من أنجح الصناعات في العصور القديمة، انتشر غرس أشجار الزيتون مع الاستعمار الفينيقي والإغريقي من آسيا الوسطى إلى أيبيريا وشمال أفريقيا وأصبح زيت الزيتون الفاخر سلعة تجارية عظيمة حتى العصر الروماني وما بعده، امتلك الزيتون أيضاً أهمية ثقافية عريضة وأشهرها غصن السلام والتاج الذي يكلل مُحيا الفائز بالألعاب الأولمبية القديمة.

نشر الرومان منذ القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي غرس الزيتون إلى مناطق زراعية بشمال افريقيا والتي تطلبت توفر أنظمة ري شاملة لجعل الزراعة قابلة للحياة، يظهر اعتماد الرومان على زيت الزيتون عبر قرار سيفيروس (Severius) (193 - 211 م) لجبايته كجزء من الضرائب المفروضة على المحافظات وإعادة توزيعه على عوام روما، ارتفع الطلب على زيت الزيتون مع توسع الإمبراطورية الرومانية وأصبحت القسطنطينية واحدة من أكبر المستوردين، وفر تأسيس عدد هائل من مزارع الزيتون عبر مناطق المغرب القديم على غرار منطقة سطيف طفرة اقتصادية إقليمية في الفترة ما بين القرن الثالث والقرن الخامس الميلادي. ودليل ذلك انتشار معاصر الزيتون في كامل المنطقة تقريبا، فهذه المعاصر منها ما تزال آثارها أو بعض عناصرها باقية حتى اليوم. ومنه يمكننا أن نطرح هذه التساؤلات:

هل السبب الرئيسي في كثرة الضياع الريفية هو أن المنطقة كانت ذات إنتاج وفير للمحاصيل الزراعية وعلى رأسها الزيتون؟ أم أن هناك أسباب أخرى أدت إلى استبدال المدينة بالريف؟، ما علاقة هذه الضياع بالمدن الكبرى كستيفيس وكويكول ومونص وسطافيس؟، هل كانت منفصلة عنها، أم أنها كانت امتداد لها؟ وذلك بامتلاك أصحاب الثروة في المدينة لضياع في الريف من أجل الزراعة والإنتاج؟هل كل الضياع هي معاصر زيتون، وإذا كان كذلك ما السر في كثرة هذه المعاصر في المنطقة؟

وكل هذه الأسئلة حاولنا البحث والإجابة عنها في بحثنا، وذلك بتصفح المصادر والمراجع المتطرقة للموضوع، والخروج إلى الميدان لمعاينة هذه المعاصر ودراستها أثريا ومعماريا.

إعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي بحيث قمنا اختيار مجموعة من المعاصر بمنطقة سطيف وقمنا بوصف العناصر المعمارية المشكلة لهذه المعاصر.

1. أشجار الزيتون:

منذ ما قبل التاريخ والزيتون يقطف من أشجار برية، وقد عرف هذا النوع من الأشجار عند المصريين القدامى، ثم الفينيقيين واليونانيين، إذ أصبح رمزا دينيا في مصر القديمة حتى في الأساطير اليونانية نجده في كتبهم المقدسة، وهذا دون شك أنهم عرفوا أهميته الغذائية وفوائده الصحيحة,، أما القرطاجيون فقد عمدوا إلى توسيع استغلالهم لشجرة الزيتون (fobrer, 1974. p 24) لتلبية حاجاتهم من مادة الزيت وما كتاب ماغون (Magone) في الفلاحة إلا تدوين للخبرات الزراعية لدى الشعب الإفريقي، كما أن حنبعل من أجل أن يشغل جنوده أمرهم بغرس أشجار الزيتون وهذا لا يعني أنها غرست لأول مرة في إفريقيا وما هو ثابت بالفعل هو استغلال الليبيين والنوميديين لأشجار الزيتون التي كانت تنمو طبيعيا أو عفويا في المنطقة، فقد عرفوا هذه الشجرة قبل مجيء الفينيقيين بينما يعود الفضل لهم في كيفية استخدام معاصر الزيت (Fabrer, 1987. p97) .

إن الليبيين والنوميدين عرفوا شجرة الزيتون منذ العصر الحجري الحديث الأعلى، إذ عثر في بعض الرماديات على بقايا من غصون الزيتون، فمن الناحية اللغوية نلاحظ أن البربر قد أطلقوا تسميتين على هذا النوع من الأشجار، إحدى التسميتين محلية وهي "أزمور" والأخرى من أصل سامي وهي "زيتون" (عقون، 2008، ص 68). أما في عهد ماسينيسا فقد شجع على غرس هذا النوع من الأشجار من أجل استخراج الزيت، إذا زرعت مساحات شاسعة من الزيتون، لهذا ففي عام 46 ق م أرغم قيصر سكان بلاد المغرب بدفع ضريبة سنوية تقدر بحوالي ثلاث ملايين أرطال من الزيت ويعتبر عشر المحصول العام (شنيتي، 1984. ص 134) .

ظهرت غصون الزيتون مرسومة على نقود ماسينيسا، ويتطرق بلين الأكبر (Pline L'ancien) في حديثه عن أرض إفريقيا إلى ذكر أشجار الزيتون، وعند دخول الرومان شمال إفريقيا وجدوا أن السكان على دراية تامة بهذا النوع من الزراعة. (فرحاتي، 2008. ص 74) وإذا كان القرن الأول في السياسة الرومانية في الشمال الإفريقي القديم هو قرن القمح فإن القرن الثاني هو قرن الزيتون، وقد بينت النصوص التشريعية كيف اعتنت الإمبراطورية الرومانية بهذا النشاط الزارعي بالإعفاء الضريبي لمدة 5سنوات، بعد أول إنتاج، وذلك لإجراء يدخل في سياسة فتح المجال لتطور المقاطعات تطور حرا.

ونظرا لموجات الجفاف التي كانت تجتاح منطقة شمال إفريقيا أواخر القرن الثاني ميلادي، جعل السلطة الرومانية تشجع على زراعة الزيتون عوضا عن زراعة الحبوب في الجنوب التي كانت مخصصة لزارعة القمح، والسبب في إنشار زراعة الزيتون في المغرب القديم (النافوري، 1981. ص116) هو السبب السالف الذكر ولعدة أسباب أهمها: كثرة الطلب على مادة الزيت في أرجاء الإمبراطورية، وهذا التزايد في عدد

السكان خلال عهود السلم وتقدم الحضارة فيها الناتج عن سياسة التمدن وارتفاع القدرة الشرائية لدى نسبة معتبرة من الناس، أدت إلى طلب متزايد من الزيت

إن المشجع الكبير على تفضيل الرومان للزيتون دون غيره من الأشجار المثمرة لسهولة فلاحته وقلة تكاليفه فهو كما قال كولومال (Collomelle): "أقل تكلفة في حين أنه يحتل المرتبة الأولى، فهو على الرغم من عدم إثماره بكيفية متتالية سنويا، إلا أنه لا يتطلب عملا كثيرا ولا يحتاج مصاريف كبيرة" (Porte, 1985). ولعل أهم العوامل التي حركت الرغبة لدى الأباطرة الرومان الاهتمام بأشجار الزيتون في شمال إفريقيا الرومانية، هي ظاهرة تزايد السكان الممارسين لمهنة الزراعة مع أحفاد المعمرين أو غيرهم في إفريقيا، استوجب عليهم توسيع المجال الزراعي، كذلك كانت زراعة الزيتون في الأقاليم السهبية وفي رفارف الصحراء الشمالية تعني فتح باب الاستقرار أمام جماعات كثيرة من البدو والمتنقلين، أي أن التوسع في زراعة الزيتون كان يعني في مفهوم السياسة للأباطرة توسيع حياة الاستقرار والحد من حياة التنقل، وهكذا نتج عن سياسة توسيع غرس أشجار الزيتون أن دفع الرومان بحدود الليمس "Limes" إلى أقصى نقطة ممكنة جنوبا.

وقد أشار مؤرخو إفريقيا الرومانية بجهود الرومان في هذا المجال فأعطوا شجرة الزيتون الرومانية ببلاد المغرب قيمة تضاهي قيمة الجندي أو تفوقها، ففي نظرهم أن شجرة الزيتون ببلاد المغرب تعد فتحا جديدا بالنسبة لبلاد البدو المستعصية، فإذا كان اجتياح حقول القمح أمرا سهلا بالنسبة للبدو فإن اقتلاع شجرة الزيتون ليس أمر سريع الإنجاز

2. شروط زراعة الزيتون:

إن أشجار الزيتون تنبت في مناخ مناسب ذو تربة مناسبة، لكي تتطور وتكبر بسرعة، ومردودها يكون وافر، فهي تزرع في أرض طينية أو رملية خفيفة على

المنحدرات، وتحدد فترة زراعتها بنوعية الأرض فإذا كانت أرض رطبة تزرع في فصل الخريف، أما إذا كانت الأرض جافة فتزرع في فصل الشتاء، كما تزرع في المناطق التي لا يزيد علوها عن 800م، و في مناخ معتدل أمطاره 300ملم3، وينبغي العناية بها كالسقي في حالة الجفاف الطويل، وقلب الأرض كل سنة، وإزالة الفسائل التي تنبت من الجذور في أسفل الجذع، لهذا فهي تحتاج العناية بها طول العام لأنها لا تؤتي ثمارها إلا بعد فترة من الصبر والانتظار قد يطول إلى أعوام.

وكان ماغون عالم الزراعة القرطاجي قد درس معطيات الفلاحة الشجرية ببلاد المغرب، ووضع لها قواعد علمية ملائمة أفاد منها المزارعون فيما بعد أيما إفادة، والظاهر أن بيلونس قد نقل عن ماغون قوله: "إن شجرة الزيتون لا تصلح في الأقاليم الباردة جدا وفي الأراضي الساخنة جدا" فهو يقترح لها مناخا معتدلا وهو الشرط الذي جاء في قواعد علم نبات الزيتون لدى ماغون القرطاجي، ذلك أن شجرة الزيتون مثمرة ينبغي ألا تتجاوز درجة حرارة الأقاليم التي تنمو فيه (خمس درجات فوق الصفر خلال فصل الشتاء)، ولكنها تقوى على تحمل درجة عالية من الحرارة، إذا كان ثمرها قد نجا من أضرار الصقيع.

فهم الرومان أن أشجار الزيتون هي أشجار ذات جودة عالية في المناطق الملائمة بشروط فيزيائية في المناطق المستغلة، وأشجار الزيتون تهيؤ بالمناخ الحراري الذي تتمتع به الذي تتمتع به بعض مناطق شمال إفريقيا إذ لا تكون بها برودة الطقس أقل من 5 درجات في الشتاء، والصقيع في أواخر الربيع، فهذا يكون ضارا لها، و فضلوا عامة الارتفاع الأقصى 800متر، وكذلك اختاروا طبيعة أرض مناسبة بحيث تكون رملية أو طينية تتحمل الجفاف، ومع ذلك الزيتون يفسد إذا زرع في أرض طينية، إذا كانت الأرض غنية بالكربونات والحرارة. (Brum, 1998. p 117)

3- استعمالات الزيت في الفترة القديمة:

قدس المصريون القدامى الزيتون إذ أصبح رمزا دينيا لديهم، وحتى اليونانيون ذكروه في كتبهم المقدسة لأنهم عرفوا الزيت مغذي ومفيد للصحة، إلا أن القرطاجين برعوا في استخراج عصير الزيتون، واعتبر عندهم ضمن المواد الأساسية فإلى جانب استخدامه للأغراض المنزلية كانوا يدهنون به عضلاتهم خلال الحرب، كذلك كان استعمال الزيت بكثرة عند الليبيين والنوميدين وكانوا يطلقون عليه اسم أزمور، وقد اتخذه الرومان كرمز للسلام، ضف إلى ذلك استغلاله في كافة الجوانب الغذائية والصحية والطبية والإضاءة، والمستعمل في التجارة، ونوع الزيت يدل على كيفية استخراجه، منها زيت الماء وهو أفضل الزيوت، وزيت اليد وهو متوسط، والزيت المغلى وهو الأدنى، هذا حسب النكهة والذوق، حيث أن أفضل الزيوت هو الزيت الأخضر إذ نضجه لم يتم بعد، وكلما كان جديد كان أفضل، فذوقه يسوء بعد مرور عام فقط من عصره. وكان الزيتون ومنتجاته من العوامل الأساسية في اقتصاديات روما فأرخص أنواع الزيت يستخدم في إضاءة المصابيح، والأنواع الأجود في الطهي، ذلك في حالة عدم **توفر الزيت**، كما كانت أصناف كثيرة من الزيتون تأكل نيئة، وكان دخول تجار الزيتون من الإيطاليين إلى سوق التصدير على نطاق واسع ذا أهمية بالغة في ازدهار اقتصاد روما وبغض النظر عن استعمالات الزيت فيما سبق ذكره، كان يستعمل في صناعة الصابون وفي أغراض صحية كثيرة.

4. معاصر الزيتون في الفترة القديمة :

لقد تطرقنا فيما سبق إلى أشجار الزيتون وشروط غرسها وكيفية استغلاله في الفترات القديمة، والآن سنحاول إعطاء قائمة واضحة ومفصلة للمعاصر.

1. 4 أنواع المعاصر :

من خلال البقايا الأثرية يمكننا تقسيم المعاصر إلى عدة أنواع منها :

أ- المعاصر الحضرية: هذا النوع من المعاصر تكون فيه الدقة في التصميم والبناء، يكون في المدن المحصنة، ظهرت هذه المعاصر منذ القرن 1م وبقيت تشتغل حتى القرن 4 م وجدت في المناطق الإنتاج الوفير في كل مدن البروقنصلية وفي مادور وليلى، وخربة عقوب (بالقرب من عين الكبيرة satafis)، وهذا النوع من المعاصر يتكون من أكثر من عشرين مصطبة عصر .

ب- المعاصر الريفية: تكون هذه المعاصر بسيطة ومختلفة من منطقة إلى أخرى والزيت الذي ينتج فيها من زيوت ذات ملكية خاصة، إنتاجها ضئيل مقارنة بالمعاصر الحضرية، لكن انتشارها واسع جدا، حيث لا تكاد تخلوا فيلا villa أو ضيعة من معصرة، وغرضها للاستهلاك العائلي والباقي يتم تسويقه.

جـ - المعاصر الخاصة بالكنائس: إن ظهور هذا النوع من المعاصر مرتبط بالديانة المسيحية، وانتشار الكنائس خاصة في القرنين الخامس والسادس ميلاديين، إذ أنشأت معاصر رفيعة وجد متميزة من الخشب والحجارة المزخرفة، مهمة هذه المعاصر إنتاج الزيت الذي يستعمل في الكنيسة خاصة للإضاءة.

2. 4 مكونات المعصرة :

تتكون جل المعاصر سواء كانت معاصر حضارية أو ريفية أو المخصصة للكنائس من عدة هياكل ثابتة فيها، تدخل ضمن الأجزاء الأساسية للمعصرة، ماعدا وجود اختلافات صغيرة من منطقة إلى أخرى في بعض مكوناتها تدخل ضمن الأجزاء الثانوية للمعصرة .

أ- حوض السحق: هذا الحوض يكون مبني بالحجارة الصلبة كي لا يتسرب الزيت ويسمى المدرس، ارتفاعه على العموم 0. 60- 0. 80م، ويسكب فيها الزيتون كي يعصر وعوضت فيما بعد بالأحواض الدائرية الشكل.

ب- حجر الرحي: هذا الأخير يكون مثقوب في الوسط ينتصب منه عمود خشبي ويسمى هذا الحجر – الزغل – يدار هذا الزغل باليد أو بالبغال، ومن خلال الدوران يعجن الزيتون، قطر هذا الحجر على العموم 1. 20م، وسمكه 30سم .

جـ - طاولة المعصرة: تكون غالبا موضوعة على أربعة بلاطات حجرية مصقولة، في بعض المعاصر نجده مسنن أو نصف دائرة، توضع فيه عجينة الزيتون لكي تعصر.

د- قنوات الصرف: وهي سواقي صغيرة تسمح للزيت أن يسكب في أحواض التصفية، تكون هذه القنوات ممتدة من طاولة العصر وصولا إلى الأحواض، طول هذه الأحواض مرتبط ببعد طاولة العصر عن الأحواض، أما عرضها فيكون حوالي 17 سم على العموم.

هـ - أحواض التصفية: بعض المعاصر تحتوي على حوضين للتصفية، والبعض الآخر بحوض واحد فقط، وهذا مرتبط بكمية الإنتاج، تكون هذه الأحواض، مبنية بحجارة ومسطحة ومثبة على الحائط، يصب الزيت من طاولة العصر مرورا بالسواقي في هذه الأحواض، التي تكون بها كمية من الماء من أجل التصفية الجيدة للزيت.

و- الثقل الموازي: وهي بمثابة دعامات للمعاصر، وجد الثقل الموازي في اليونان، لكن لا يبدوا أنه معروف في شمال إفريقيا قبل دخول الرومان، ومعاصرهم هي الأكثر انتشارا في إفريقيا، والثقل الموازي يمكن أن يكون مصنوعا من حجارة ذات قياسات محددة أو يكون منحوت في الصخر مثلما هو الحال في المعاصر المنحوتة في الصخر، يتصل عمود خشبي صلب بالثقل الموازي لكي يؤدي وظيفته في العصر

ز- أحواض إعادة التصفية: توجد في بعض المعاصر التي يشترط أصحابها أن يكون الزيت صافي جيدا، تكون هناك أحواض صغيرة يمر من خلالها الزيت، يكون شكلها مربع أو مكعب يسكب في الجرار.

ر- مذبح للصلاة: إن معظم المعاصر تحتوي على مذبح للصلاة، في المدن الهلنستية كل معصرة تحتوي على مذبح منحوت في جدرا صخري، كما احتفظ به الرومان خاصة المعاصر التي تعود إلى فترة الإمبراطورية العليا.

3. 4 أقسام المعاصر: تنقسم المعاصر من حيث مادة بنائها إلى نوعين رئيسيين هما: المعاصر المبنية والمعاصر المنحوتة في الصخرة.

أ- المعاصر المبنية: وهي الأكثر انتشارا سواء في المدن أو في الأرياف، ومن خلال تصوير جداري في بومباي هذا الأخير الذي يصور معصرة مبنية متوضع في وسطها حوض مبني من البلاطات الحجرية بمحاذاتها مصطبة توضع فيها سلة الزيتون، والمعصرة مزودة بدعامات عمودية من الخشب، والعنصر المهم في المعصرة المبنية هو الثقل الموازي، ضف إلى ذلك السواقي لتصريف الزيت إلى الأحواض كما أن أرضيات الأحواض تكون مبلطة إما بالقطع الفخارية مع الملاط، أو المصطبة بالحجارة أو الفسيفساء.

ب- المعاصر المنحوتة في الصخر: هذه المعاصر انتشارها قليل، تحتوي على أحواض للسحق وأخرى مخصصة لاستقبال الزيت كما تحتوي على حزازات لتمرير الزيت للأحواض وحفر فيها الثقل الموازي، وهذه المعاصر بدائية مقارنة مع المعاصر المبنية

في أواسط القرن الماضي اعتقد أن الرومان كانوا يخبئون كنوزهم في أحواض هذه المعاصر لأن هذه الأحواض كانت شبيهة بالصندوق لهذا تم التنقيب فيها ليظهر لهم شيء آخر ألا وهو منشآت عصر الزيتون

5. انتشار معاصر الزيتون في شمال إفريقيا :

إن الأبحاث التي قامت بدراسات حول المعاصر وزراعة الزيتون تعد على الأصابع في شمال إفريقيا، وهذا راجع إلى عدم الاختصاص ونقص الاهتمام بعالم الريف

وإفريقيا الرومانية كانت البلاد الأكثر زراعة للزيتون، الذي ينتشر بكثرة في شرق إفريقيا البروقنصلية وينقص كلما اتجهنا إلى غربها، ففي المدينة القيصرية مثلا نجد مساحة زراعية وبها 241 معصرة، في حين في مدينة بطلاقة بالمغرب احتوت على 50 معصرة زيت فقط.

وبقيت هذه المعاصر تنتج حتى الفتح الإسلامي، فالإدريسي مثلا أشار إلى وفرة أشجار الزيتون وكثرتها في المنطقة، وفي الجزائر كانت زراعة الزيتون منتشرة في كامل الشمال، فمنطقة القبائل تعرف بعدد كبير من المعاصر القديمة، ففي التنقيب الذي أجري بين 1970- 1971م وجدت حوالي 50 معصرة مبنية وحوالي 100 معصرة منحوتة في الصخر على بعد150 كلم وجدت على شكل مجموعات 3 أو 4 مجموعات، وهذا التنوع في المعاصر في منطقة القبائل دليل على أن جبال القبائل كانت كثيفة بأشجار الزيتون، أما شرشال فبعد التنقيب الذي أجراه " فيليب لوفو Ph. Leveau" وجد نوعين من المعاصر، في النوع الأول مجموعة من المعاصر مبنية بنيات صغيرة فلاحية، أما النوع الثاني فهي معاصر صناعية للتصدير، وكذلك هو الشأن بالنسبة لقصر الرومية فمعاصرها مبنية بالحجارة الكبيرة وحجارتها متساوية

ومعاصر منطقة القبائل الصغرى جعلت خارج المنزل فهذه المعاصر تكون في الهواء الطلق فهي تكون بالقرب من المنزل أو في حقل الزيتون، كما وجدت عدة معاصر في روسيكادا بالقرب من البحر لكن الإنتاج بها كان ضعيفا، كذلك في الطريق بين تيمقاد وآريس حتى لومباز هناك أثار للمعاص، وفي تونس تنتشر زراعة الزيتون في كل المناطق ماعدا المناطق الصحراوية، فمنطقة الواد العالي مثلا عثر فيها على 91 من الثقل الموازي كما تنتشر غالبية هذه المعاصر في منطقة بنزرت ومنطقة طبرقة ومنطقة الشمال الشرقي التونسي وسهل مجردة، ومنطقة الساحل ومنطقة شمال قفصة.

6. نماذج معاصر منطقة سطيف خلال الفترة القديمة :

لقد حالت كثرة المعاصر في المنطقة، دون قدرتنا على تغطية كل تلك المعاصر الموجودة بالدراسة، (فجزال Gsell) مثلا يذكر في الأطلس الأثري أكثر من 37 معصرة في المنطقة، وعند الزيارات التي قمنا بها في منطقة صغيرة (حوالي 2 كلم) على محور طريق قديم بين بني فودة وعين الكبيرة، عثرنا على حوالي 24 بقايا معصرة، لذلك ونظرا لاستحالة تغطية كل هذه المعاصر جعلنا نكتفي بنماذج، ولم يكن اختيارنا على أساس جغرافي وإنما على نموذجية الهيكل.

1. 6 نموذج عن المعاصر الكبرى المبنية:

- معصرة خروب الربح:

أ- موقعها: تقع المعصرة شرق مدينة سطيف تبعد عليها بحوالي عشرة كيلومتر، وهي على بعد 2 كلم جنوب شرق دوار بن غنجة ببلدية أولاد صابر، وهي في مرتفع، تمتد منه من جهة الغرب سهول شاسعة، أما من الشرق فيقابلنا جبل مروان (الذي يبلغ ارتفاعه 1264م)، شرق هذه المعصرة (حوالي 200متر)، يوجد موقعين آخرين أحدهما يحتوي على معصرة زيتون، ومن غربها تتواجد مقبرة، وهي على الطريق الروماني القديم كويكول- ستيفيس مرورا بـــ "Mopht" "موفت"، لم يسبق وأن أشير إلى هذه المعصرة من قبل عدا جزال في الأطلس الأثري

ب - وصف المعصرة:

اتجاه هذه المعصرة - شمال جنوب-، وهي على شكل مستطيل بطول إجمالي يقدر بـــ 45م وعرض 38م (أنظر الصور)

(1) (2)

لها مدخلان أحدهما في الجهة الشرقية بعرض 0,50 م (أنظر الصورة)،

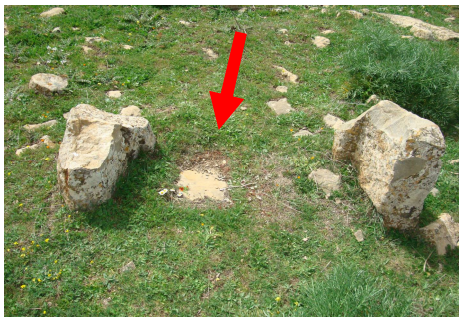

والآخر من الجهة الغربية بعرض 0,80 م (أنظر الصورة)،

هذا الأخير يبدو وكأنه المدخل الرئيسي حيث يتصل برواق بطول 15,50م وعرض 2,40م، أما انتشار الفخار فهو قليل لأن الموقع يتعرض للتعرية وكثرة النباتات فيه. من عناصر المعصرة التي لا تزال باقية نذكر:

1- **الثقل الموازي: "contre- poid"**: يوجد اثنان من الثقل الموازي في هذه المعصرة يقعان بمحاذاة الزاوية الشمالية الشرقية للمعصرة، (أنظر الصورة)،

هذان الثقلان من الحجم الكبير، إذ يبلغ طول الثقل الموازي الأول 02,20 م، وعرضها 0,55 م وارتفاعها 0,65م (أنظر الصورة 06)، أما تعشيق السنونو فإنه بطول 0,27 م وعرضه الأمامي 0,23 والخلفي 0,15م والعمق فهو 0,20 م (أنظر الصورة) .

يبعد هذا الثقل عن السور الخارجي الشرقي للمعصرة بـــ 2,10 م ومن الجهة الشمالية فإنه يندمج مع السور.

الثقل الموازي الثاني يقع بمحاذاة الأول 3. 10 م جنوب، في شكل مستقيم معه، وهو أقل نسبيا من الأول في الطول حيث يبلغ 1,95 م وعرض 0,55 م وارتفاع 0,65 م وتعشيق السنونو لهذا الثقل بنفس مقاسات تعشيق السنونو الأول (أنظر الصورة) .

2- الأحواض: يوجد في المعصرة حوضين، الحوض الأول أمام الثقل الموازي الأول وأمامه مباشرة، إذ يبعد عليه 0.50 م، طول هذا الحوض 2م، وعرضه الخارجي1.50م، أما العرض الداخلي فهو 0.90 م، مبني بالحجارة المصقولة المتراصة.

أما الحوض الثاني فهو أمام الثقل الموازي الثاني 0,50 م طول الحوض 2 م والعرض 1,50 م والعرض الداخلي 0,90 م ويبعد مسافة 0,65 م عن الحوض الأول (أنظر الصورة 11)، أما ارتفاعها فهو غير ظاهر لامتلائه بالأتربة، طريقة بنائه لا تختلف عن الحوض الأول.

التحليل:

تعد معصرة خروب الربح من أكبر المعاصر في المنطقة نظرا للمساحة الشاسعة التي تحتلها (45م×38م)، فهي تحتوي كل متطلبات عملية عصر الزيتون كغرف التفريغ والتخزين والعصر وتخزين الجرار المملوءة بالزيت.

لنا أن نتخيل حجم المعصرة فقط من خلال عنصر الثقل الموازي والأحواض فإن كان الثقل الموازي بطول 2,20م وحوض بطول 2م، فلابد أن الكمية التي تعصر فيه تكون كبيرة جدا.

وهذا دليل آخر على أن المنطقة المحيطة بالمعصرة كانت كلها أشجار وأولها أشجار الزيتون، وإلا لما كلف صاحب هذه المعصرة ببنائها بهذا الحجم.

ولا يظهر من هذه المعصرة إلا الجزء القليل فقط، فغالبية عناصرها لا تزال مردومة تحت الأتربة لأن هذا الموقع لم تجرى فيه لا دراسات عدا جزال (Gsell) في الأطلس الأثري) ولا حفريات شأنه في ذلك شأن الموقعين الآخرين اللذان ذكرناهما آنفا.

حالة المعصرة رديئة بسبب الإهمال الذي تتعرض له، فالثقل الموازي الثاني الذي تطرقنا إليه قد كسر إلى شطرين وهذا يعكس حجم الإتلاف الطبيعي والبشري الذي تتعرض إليه المعصرة، هذه الأخيرة التي نتمنى أن يلفت إليها الانتباه، بالدراسة المعمقة، وصيانتها

وترميم الأجزاء المتلفة منها، ولما لا إجراء حفرية في الموقع الذي من شأنه إعطاء مادة أثرية غنية جدا من حيث الناحية المعمارية أو إظهار كل عناصر المعصرة.

2. 6 نموذج عن المعاصر المنحوتة في المعاصر:

إن هذا النوع من المعاصر نادر جدا في المنطقة وفي الوطن:

- موقعها: توجد هذه المعصرة المنحوتة في الصخرة في منطقة المخرقة، حوالي 1كلم شمال شرق بلدية تاشودة[1]، وجنوب شرق كويكول (جميلة)، يوجد بأسفلها وادي تتوسط هذه المعصرة منطقة صخرية، ويوجد بمحاذاتها أثار بناية رومانية، إذ تنتشر حجارة مصقولة، كما يقابلها كذلك من الضفة الأخرى للوادي أثار بناية.

- وصف المعصرة:

نحتت هذه المعصرة في كتلة صخرية غير منتظمة الشكل بطول إجمالي يقدر بـــ 4,10م وعرض 3,95م احتوت هذه الصخرة: الثقل الموازي وأحواض وساقية لمرور الزيت.

1- الثقل الموازي: وهو جزء من الصخرة نحت تعشيق السنونو فيها في الجهة العلوية بمحاذاة الجهة الشمالية الشرقية لهذه الكتلة الصخرية، طول هذا التعشيق 1 م وعرضه من الجهة الأمامية 0,45م ومن الجهة الخلفية 0,14 م أما عمقه في الصخرة فهو 0,20 م.

2- الأحواض**:** احتوت هذه المعصرة على ثلاثة أحواض:

- الحوض الأول: نحت في الجهة الجنوبية الشرقية للصخرة بقيت منه الجهة العلوية محافظة على ارتفاعها نوعا ما (0,20 م) أما مقاساته فهي (1,50م×1,50م) لهذا فهو على شكل مربع، تبدوا منه الجهة العلوية جيدة والجزء من الجهتين اليمنى واليسرى أما الجهة السفلية فلا تكاد تكون ظاهرة إلا قليلا

- الحوض الثاني: يقع هذا الحوض تحت الحوض الأول مباشرة لكن لا تكاد تكون معالمه واضحة للعيان، إلا بعض الآثار من الجهة العلوية .

- الحوض الثالث: يوجد هذا الحوض على جانبي الحوضين المذكورين وتحت تعشيق السنونو مباشرة، شكله العلوي مستقيم بطول 1,40 م لكن في الجانبين يأخذ شكل دائري نوعا ما إذ يبلغ أقصى عرض له 1,90 م يبدأ في الانحصار وينتهي عند عنق تبدأ منها الساقية لمرور الزيت، ارتفاع جدران هذا الحوض يبلغ 0,20 م في الجهة العلوية، وأقل نسبيا في الجانبين أما جهة العنق فإنه لا يكاد يظهر له ارتفاع.

- ساقية لمرور الزيت: تتصل هذه الساقية بالحوض الثالث لتنتهي عند أسفل الكتلة الصخرية على مسافة 1,30 م وعرض الساقية 0,10 م

- التحليل :

إن هذه المعصرة التي قمنا بدراستها تعتبر من أهم و أندر المعاصر في المنطقة، و هذا فضلا على كون المعاصر المنحوتة في الصخرة نادرة جدا فهي تحتوي على معظم أجزاء المعصرة في الفترة القديمة من الثقل الموازي، و الأحواض و ساقية مرور الزيت .

الحوض الذي يأتي أمام الثقل الموازي، (الحوض الثالث) نعتقد أنه حوض العصر (السحق)، لأن هذا الأخير دائما يأتي أمام الثقل الموازي و الزيت الذي يعصر يمر من تلك الساقية ليوضع في الحوض الأول، و منه يمر إلى الحوض الثاني من أجل التصفية، لذلك نعتقد أن هذين الحوضين هما حوضين لتصفية الزيت .

نحتت هذه المعصرة في منطقة شبه جبلية، تكثر فيها الصخور لذلك نعتقد أن صاحب الضيعة لم يكلف نفسه عناء بناء معصرته و لكن رأى أن ينحتها في صخرة تخفيفا للجهد و التكلفة، لأن مثل هذه المعاصر لا تكلف الوقت الكبير ولا التكلفة المالية، يكفي أن تنحت كل أجزاء معصرة في كتلة حجرية واحدة

لم تكن المعصرة الأنفة الذكر، المعصرة الوحيدة في تلك المنطقة، فعلى بعد 50 م أمام المعصرة الأولى، نجد في كتلة حجرية بطول 3,60 م و عرض 3,10 م قد نحت في وسطه ثقل موازي (تعشيق سنونو) بطول 0,60 م و العرض الأمامي 0,27 م أما

الخلفي 0,18 م ولا ندري إن كانت هناك معصرة أخرى في هذا المكان، و الآن اختفت كل معالمها عدا هذا العنصر، أم أنه قد بدأ في مشروع المعصرة ثم توقف.

على الرغم من أن المعصرة توجد في منطقة منعزلة و بعيدة عن مراكز السكان، إلا أنها قد تتعرض للتهديم في حالة ما إذا تم البدأ في استكمال مشروع محجرة بمحاذاة هذه المعصرة، هذا المشروع الذي بدأ فيه في السنوات الفارطة ثم توقف، أما إذا عاود الظهور فإن هذه المعصرة تصبح في زمن الماضي.

3. 6 نماذج عن بعض المعاصر الأخرى :

1 معصرة أولاد الحاج: تقع هذه المعصرة على بعد 2كلم شرق مدينة كويكول، في منخفض يعلوه جبل القرقور، وأسفله يوجد وادي بيطام، كما أن تلك المنطقة هي منطقة مائية تكثر فيها المروج حاليا.

- وصف المعصرة: لم يبق من هذه المعصرة إلا عنصر الثقل الموازي من الحجم الكبير، حيث يبلغ طوله 2,17م وعرضه 0,63 م وارتفاعه 0,78 م تعشيق السنونو لهذا الثقل بطول 0.34 م وعرض أمامي 0,28 م والعرض الخلف 0,11 م أما العمق فهو 0,32م ,نحت في منتصف الثقل تماما. تنتشر في الموقع كتل من الميلاط وهي مزيج من القطع الفخارية +ميلاط، كما تنتشر القطع الفخارية في الموقع، من فخار شعبي محلي و سجلي

- التحليل:

للأسف لم يبق من معصرة أولاد الحاج سوى ثقل موازي من الحجم الكبير، (2,17م طول) ولنا أن نتخيل كبر حجم هذه المعصرة من خلال هذا الثقل، فمعصرة يكون ثقلها كبيرا بهذا الحجم لابد أنها كانت معصرة إنتاج كبير للزيت، والمنطقة كذلك كانت منطقة إنتاج وفير للزيتون.

لم يكن الثقل الموازي الموجود الآن الوحيد في هذه المعصرة، فبحسب سكان المنطقة فإنه كان ثقل موازي ثاني بنفس حجم الأول محاذي له، لكنه تعرض للتكسير إذ لم يبقى منه الآن سوى جزء صغير لا يظهر عليه أنه ثقل موازي أو شيء آخر.

إن الميلاط المنتشر في كامل الموقع من المحتمل أنه كان مستعمل في الأحواض، لأن تركيبته الأولية (قطع فخارية +ملاط)، تستعمل في الأماكن التي تحتوي على سوائل (ماء، زيت...الخ)، إذ تستعمل في الحمامات والقنوات والأحواض...الخ، كما أن كثرة انتشاره ما هو إلا دليل على كبر حجم هذه الأحواض.

بالإضافة إلى الملاط هناك انتشار كبير للفخار بمختلف أنواعه فمنه الفخار السجلي والفخار الشعبي وفخار الجرار، هذه الأخيرة التي كانت تستعمل في تعبئة الزيت.

الحالة التي توجد عليها المعصرة رديئة جدا، بسبب التكسير الذي تتعرض له، ما بقي من عناصرها وهو الثقل الموازي، فكما ذكرنا أن الثقل الموازي الثاني قد كسر بشكل شبه تام، فإذا استمر الوضع على هذا الحال فإن هذا العنصر هو الآخر يلقى نفس مصير الأول، وعند العودة إلى الموقع لا نجد سوى القطع الفخارية والملاط المترامية هناك، والهدف من هذا التكسير هو تقسيم القطع الحجرية الكبيرة إلى أجزاء صغيرة ثم استعمالها مرة أخرى في البناء الحالي، لذا فإننا نرجو أن تتخذ الجهات المكلفة بحماية الآثار الإجراءات الصارمة، من أجل الحفاظ على هذه المعالم الأثرية.

- معصرة خربة سرايدي: تتواجد هذه المعصرة في منطقة الجباس، حوالي 5كلم غرب مدينة كويكول وتبعد بحوالي 2كلم شمال قرية الجباس، تقع في مرتفع بالقرب من إلتقاء واديين وهما وادي الجياس، ووادي آخر، ويقابلها في الضفة الأخرى من وادي الجباس موقع آخر يحتوي هو الآخر على معصرة.

وصف المعصرة: لم تبق عناصر كبيرة لهذه المعصرة، إذا لم نتمكن من تحديد قياساتها، مع ذلك فهي تحتوي على عنصرين من عناصر المعاصر، وهما ساقية كبيرة مصقولة

بشكل جيد، وحوض لتجميع الزيت جزء منه مغروس في الأرض، بالإضافة إلى بعض العناصر المعمارية الأخرى، كما نلاحظ في الموقع الانتشار الكبير للقطع الفخارية، خاصة قطع فخارية للجرار، وأشقف فخارية للأسقف، والفخار السجلي والشعبي، ضف إلى ذلك وجدنا أجزاء من رخام في هذا الموقع .

-العناصر الموجودة في المعصرة:

1- الساقية: كما ذكرنا فإننا وجد في هذه المعصرة ساقية لمرور الزيت قد صنعت بشكل رائع طولها 2,90 م وعرضها 0,13 م احتوت في بدايتها على حوض صغير بحجم 0,37م×0,34م

2- الحوض: يوجد بالقرب من الساقية حوض لتجميع الزيت, هذا الأخير الذي تبلغ مقاساته من الخارج 1,40 م طولا و0,70 م عرضا و 0,36 م ارتفاعا,أما مقاساته من الداخل فهي 1,15 م طولا، و 0,50 عرضا، و 0,25 م ارتفاعا، جهة من هذا الحوض مكسرة, وقد نحت في كتلة حجرية واحدة (أنظر الصورة 30 و 31) .

التحليل: كما سبق ذكره لا تحتوي هذه المعصرة على كل عناصرها، وما بقي منها اليوم أو ما هو ظاهر هي ساقية لمرور الزيت، والحوض لتجميعه حتى الثقل الموازي لا يوجد له أثر عدا كتلة حجرية بمحاذاة الساقية يمكن أن تكون ثقل موازي تعرض للتكسير وما جعلنا نفترض ذلك هو وجود نتوء في وسطه، ومن المرجح أن تكون باقي عناصر المعصرة مردومة في الأرض لأن الموقع لم يتعرض للحفر ولا للتعرية، إلا أن أغلب العناصر الأثرية التي كانت موجودة في الموقع قد اختفت، فبحسب ما ذكره لنا سكان المنطقة، أن هذا الموقع كان يحتوي على غرف قائمة، ونقائش تحتوي على كتابات لاتينية . . . الخ، ضف إلى ذلك تحت هذا الموقع مباشرة من جهة الشمال توجد آثار بناية تعود للفترة الاستعمارية لأحد المعمرين (بحسب كلام سكان المنطقة)، هذا الأخير الذي استعمل في بنائه جل الحجارة الرومانية التي جلبها من هذا الموقع.

إن الانتشار الكبير للقطع الفخارية، خاصة قطع الجرار إلى درجة أن صاحب هذه الأرض جمعه في شكل دواميس من الفخار، ما هو إلا دليل على كبر المعصرة من خلال كثرة الجرار المستعملة في تعبئة الزيت.

الحالة الموجودة عليها المعصرة رديئة بسبب الانحصار الذي تعرض له الموقع من طرف أصحاب الأرض، وهدفهم من جمع وتكديس الحجارة في مكان واحد، هو استغلال أكبر مساحة ممكنة من الأرض في الزراعة، كما أن تلك الساقية لا يجدر بها أن ترمى في ذلك الموقع، لأنها متعرضة لكل عوامل التلف الطبيعية والبشرية، فمن المفروض أن تحفظ في مكان أكثر صيانة.

7. الخـــــــــــاتمة:

من خلال دراستنا البسيطة لمعاصر الزيتون في المنطقة التي حصرناها في مدينة سيتيفيس، برزت لنا أهمية هذه الآثار الريفية، و أن معاصر الزيتون جزء مهم إن لم نقل رئيسي فيها، إذ أن كل ضيعة ولها معصرتها الخاصة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على كثافة أشجار الزيتون في المنطقة، ولا نعتقد أن كل ذلك الإنتاج كان للاستهلاك المحلي فقط. أثناء قيامنا بالجانب الميداني في المنطقة من مدينة سطيف حتى مدينة جميلة مرورا بعين الكبيرة ومونص، لم نعثر على شجرة زيتون واحدة وهذا يدعونا للتساؤل مجددا ما سبب اختفاء هذه الشجرة المباركة التي ورد اسمها في القرآن الكريم من المنطقة؟، هذه الإشكالية وغيرها من شأنها أن تفتح مواضيع جديدة للدراسة والبحث ليس فقط في مجال الآثار فحسب، بل حتى في مجال الزراعة، هل اختفاءها يرجع إلى أسباب طبيعية أو لتغير المناخ؟، هذا الأخير الذي لا يسمح بزرع أشجار الزيتون في جوه. . . الخ، لذلك لا نعتقد إعادة استعمال تلك المعاصر بعد ملاكها الأصليين، وأسئلة أخرى بقيت تراودنا كذلك عن مكانة معاصر الخمور مع معاصر الزيتون، خاصة وأننا في أغلب

المواقع التي زرناها العنصر المتبقي هو الثقل الموازي كونه أكبر قطعة في أي موقع، نتساءل هكذا في ظل غياب أبحاث دقيقة للفصل بين معاصر الزيتون ومعاصر الخمور .

إن الملاحظة التي استخلصناها من كل تلك المعاصر أن معظمها يعاني الإهمال بلا دراسة و لا تنقيب، وما زاد في الأمر سوءا أن أغلبها مهددة بالتهديم مثل المعصرة الوحيدة المنحوتة في الصخرة، وهي معصرة المخرقة في تاشودة، كذلك هو الشأن لمعصرة أولاد الحاج ومعصرة خربة عقوب التي تعد من المعاصر الكبيرة ليس في الجزائر فحسب وإنما في شمال إفريقيا (حسب المصادر التي تحدثت عنها)، كما لاحظنا غياب دلائل السكن لأصحاب هذه المعاصر عدا معصرة خربة سرايدي التي وجدنا بالقرب منها نقائش جنائزية لعائلة فورتنتا fortonata.

التوصيات :

على الجهات المخولة بحماية الآثار الانتباه لمثل هذه الكنوز الأثرية من أجل حمايتها من كل عوامل التلف وعلى رأسها الإنسان.

وكذلك من طرف الباحثين والدارسين لأنها لا تزال بلا دراسة وكل ضيعة زرناها لا تحتوي على معصرة فقط، وإنما تحتوي على عناصر معمارية كثيرة من شأنها أن تأتي بالجديد فيما يخص الآثار الريفية

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

رشيد النافوري، المغرب الكبير، دار النهضة العربي، الجزء الأول، بيروت، 1981.

محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، الجزائر، 1984.

محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.

عبد الكريم جودت يوسف، أوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3و4هـ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

فتيحة فرحاتي، نوميديا من حكم الملك جايا الى بداية الاحتلال الروماني، منشورات أبيك، الجزائر، 2008.

سعد زغلول، المغرب العربي من الفتح الى بداية عصور الاستقلال، دار المعارف، الإسكندرية، 1995.

ر. دونا لد دولي، حضارة روما، ترجمة جميل إبراهيم الذهبي، مصر للطباعة والنشر. 1996

تومية رويني، فن الزراعة البستنة في نوميديا، من مجلة التاريخ، العدد20، المركز الوطني لدراسات التاريخية، الجزائر، 1985.

سامي ريحانا، موسوعة التراث القروي، دار نوبليس، الجزء1، 2004.

المراجع باللغة الأجنبية:

Camps Fabrer, l'olivier et sont importance dans l'Afrique Antique, CIHEAM, option méditerranéen,Paris,1985.

H. Camps Fabrer, l'huile dans la provence romaine, Paris, 1987.

H. Camps Fabrer, l'olivier et huile dans l'Afrique romaine, imprimé officiel, 1953

J. Pierre Brum, archéologie du vin et d'huile dans l'empire romain, édition errance, paris

J. Pierre La Porte, l'histoire et archéologie de l'Afrique du nord, DUSIHS, 1985.

Sadok ben Baaziz, les huileries de la Tunisie Antique, Tunis,2003.

Pline L'ancien, histoire naturelle, paris, 1999.

St. Gsell, Atlas Archéologique de l'Algérie, T1 deuxième édition, Alger,Paris,1901.

H. Camps Fabrer, huileries de prègotville, dans: libyca, T05, 1957.

J. Meunier, huilerie romaine de la région de Sétif, dans: recueil de Constantine, T48, Paris,1914.

ملاحق المخططات